

المحاضرة الأولى: ظهور وتطور التربية البيئية وفلسفتها

- مقدمة:

تعد البيئة الإطار الذي يحيط بالإنسان ويؤثر فيه ويتأثر به، وتشمل جميع العناصر الطبيعية والاجتماعية والثقافية التي يتفاعل معها الكائن الحي. إن الحفاظ على البيئة أصبح ضرورة ملحة في ظل التحديات الراهنة التي تواجه الكوكب، مثل التغير المناخي، والتلوث، واستنزاف المواد الطبيعية. تبرز أهمية البيئة ليس فقط كوسط للعيش، بل كمصدر للحياة ومحدد لجودتها واستدامتها للأجيال القادمة.

1. ظهور التربية البيئية:

تشكل التربية البيئية مفهوما حديث العهد نسبيا بمعناها الأكاديمي، ولكن جذورها التاريخية تمتد إلى الفترة التي تصور فيها الإنسان للعلاقة بينه وبين بيئته وما نجم عنها ودورها في الحفاظ عليها.

لم تظهر التربية البيئية كمفهوم مستقل إلا في النصف الثاني من القرن العشرين (Unesco, 1975, Palmer, 1998: 5)، كرد فعل على تزايد الوعي بالمشكلات البيئية العالمية. يمكن تتبع جذورها إلى الحركات الأولى للحفاظ على الطبيعة في القرن التاسع عشر، ولكنها اكتسبت زخما كبيرا بعد مؤتمر ستوكهولم عام (1972) حول البيئة البشرية، الذي أكد على أهمية التعليم البيئي (Unesco, 1972).

تطورت التربية البيئية عبر مراحل عدة، بدأ من التركيز على نقل المعرفة حول البيئة، ثم الانتقال إلى تنمية الوعي والقيم (شليبي، 2021)، وصولا إلى التركيز على المشاركة الفعالة في حل المشكلات البيئية واتخاذ القرارات. وقد تعزز هذا التطور بفضل مؤتمرات دولية مثل مؤتمر تبليسي عام (1977) (Unesco, 1977)، ومؤتمر ريودي جانيرو عام (1992)، التي رسخت مكانة التربية البيئية كركيزة أساسية للتنمية المستدامة.

و عليه فالمتعقب لتاريخ نشوء التربية البيئية وتطورها يجد أنها قد مرت بمحطات زمنية مختلفة، نوضحها فيما يلي:

- (1948): أول استخدام لمصطلح التربية البيئية في اجتماع باريس الدولي من أجل صيانة البيئة والموارد الطبيعية.
- (1949): تأسيس منظمة الاتحاد الدولي من أجل صيانة البيئة والموارد الطبيعية.
- (1968): عقدت منظمة اليونسكو مؤتمرا في باريس حول الغلاف الحيوي.
- (1970): عقدت اجتماع نيفاد لمنظمة الاتحاد الدولي في الولايات المتحدة الأمريكية وصدور أول تعريف دولي للتربية البيئية.
- (1972): مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة الإنسانية في ستكهولم بالسويد.
- (1975): تأسيس برنامج الأمم المتحدة للتنمية وعقد ورشة عمل دولية حول التربية البيئية في بلغراد والخروج بوثيقة بلغراد حول التربية البيئية.
- (1977): عقد أول مؤتمر حكومي دولي للتربية البيئية في تبليسي.
- (1980): صدور الإستراتيجية العالمية لصيانة الموارد عن منظمات عالمية.

- (1987): اجتماع المجلس التربوية للتربية البيئية والتدريب في موسكو.
 - (1988): صدور القرار الأوروبي حول التربية البيئية.
 - (1991): نشر الإستراتيجية العالمية من أجل الحياة المستدامة على الأرض من قبل منظمة الاتحاد الدولي ومنظمات أخرى.
 - (1992): مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة (قمة الأرض الأولى).
 - (2002): القمة العالمية للتنمية المستدامة في جوهانسبورغ (مؤتمر قمة الأرض الثانية). (وشان، شلابي، 2021، 169)
2. **مراحل تطور التربية البيئية:**

مرت التربية البيئية بعدة مراحل وهي:

✓ مرحلة الحفاظ على طبيعة (القرن 19- منتصف القرن 20):

كانت تركز على حماية المناطق الطبيعية والأنواع المهددة بالانقراض. مثال: إنشاء المحميات الطبيعية والحدائق الوطنية.

✓ مرحلة التربية البيئية (السبعينات- الثمانينات):

بعد مؤتمر ستوكهولم (1972)، ركزت على زيادة الوعي بالمشكلات البيئية. مثال: برامج التوعية حول تلوث الهواء والماء.

✓ مرحلة التربية من أجل التنمية المستدامة (التسعينات- الآن):

بعد مؤتمر ريو (1992)، اتسع المفهوم ليشمل الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية. مثال: دمج مفاهيم الاستهلاك المستدام والعدالة البيئية في المناهج التعليمية.

3. فلسفة التربية البيئية:

ظهرت فلسفة التربية البيئية، كمحاولة لسد ثغرة بين التربية القائمة على العلم والمعرفة البحتة، و رغبة التربويين لتكون استجابة مناسبة لحاجات جديدة، وخلق أنماط سلوكية تحفظ الحياة كلها في الطبيعة.

والإطار الفكري لفلسفة التربية البيئية ينطلق من نظريات المفكرين حول البيئة، والعلاقة بينها وبين الإنسان، والمفاهيم الإيديولوجية للبيئة، وفلسفة التآزر بين فروع المعرفة المتعددة، وانعكاساتها على التربية البيئية.

وتلتقي فلسفة التربية البيئية مع الفلسفة الندية التي تنادي بعلاقة توافق بين الإنسان والطبيعة من منطلق استثمار مكونات الطبيعة في حدود قدراته على التجدد والعتاء. (رابحي، عيساوي، سنة، ص167)

و تستند التربية البيئية إلى فلسفة عميقة تتجاوز نقل المعلومات، وتتركز على تغيير النظرة إلى العلاقة بين الإنسان والطبيعة. تقوم هذه الفلسفة على عدة منطلقات فكرية وأخلاقية، منها:

▪ المنظور الشمولي:

الذي يرى البيئة كنظام متكامل ومترابط، حيث يؤثر كل جزء في الأجزاء الأخرى، ويجب فهم المشكلات البيئية ضمن هذا السياق الشمولي.

➤ **مثال توضيحي:** عند دراسة مشكلة تلوث نهر، لا يقتصر التحليل على مصدر التلوث المباشر (مثل مصنع)، بل يشمل أيضا الأنشطة الزراعية في حوض النهر، والتصرف الصحي للمدن، وتأثير ذلك على التنوع البيولوجي وصحة السكان.

▪ **المنظور الأخلاقي:**

الذي يؤكد على المسؤولية الأخلاقية للإنسان تجاه البيئة والكائنات الحية الأخرى، وضرورة احترام الطبيعة والحفاظ عليها للأجيال القادمة. هذا المنظور يتبنى مبادئ مثل العدالة البيئية والإنصاف بين الأجيال.

➤ **مثال توضيحي:** عندما تتخذ شركة قرار بعدم استخدام مواد كيميائية ضارة في منتجاتها، حتى لو كانت أقل تكلفة، لأنها تؤمن بمسؤوليتها الأخلاقية تجاه صحة المستهلكين والبيئة.

▪ **المنظور التشاركي:**

الذي يدعو إلى مشاركة جميع الأفراد والمجتمعات في اتخاذ القرارات البيئية وحل المشكلات، مع التأكيد على أهمية العمل الجماعي والتعاون.

➤ **مثال توضيحي:** عندما يتم تنظيم ورش عمل مجتمعية لإشراك السكان المحليين في وضع خطة لإدارة النفايات في قريتهم، بدلا من فرض حلول من الأعلى.

▪ **المنظور النقدي:**

الذي يشجع على التفكير النقدي في الأسباب الجذرية للمشكلات البيئية، وتحليل الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لهذه المشكلات، والبحث عن حلول مستدامة تتجاوز الحلول السطحية.

➤ **مثال توضيحي:** تحليل أسباب استمرار الاعتماد على الوقود الأحفوري، ليس فقط من منظور اقتصادي، بل أيضا من خلال دراسة تأثير جماعات الضغط السياسية، والأنماط الاستهلاكية للمجتمعات، والبحث عن بدائل مستدامة.

هذه المنطلقات الفكرية والأخلاقية تشكل الأساس الذي تبني عليه برامج وممارسات التربية البيئية، وتوجه جهودها نحو تحقيق التغيير الإيجابي في سلوكيات الأفراد والمجتمعات تجاه البيئة.